عرض سريع للاخطاء والدرس المستفاد من هزيمة ٦٧

ان حسابات المعارك وتقييمها لايقاس بحجم ما يستخدم فيها من حشود ولا مدى ما يسفر عنه من خسائر فى الافراد والعتاد ولكن يقاس بما تؤدى اليه من نتائج وما تحققه من أهداف . وهذه حقيقة تاريخية لاشك فيها وبالنسبة لجميع المعارك التى كانت بمثابة نقطة تحول فى التاريخ ..

بقلم :

ذكى منصور

فى يونيو ١٩٦٧ حاربت القوات المسلحة المصرية معركة مع اسرائيل على ارض سيناء تعتبر الجولة الثالثة فى تاريخ الصراع العسكرى بين مصر واسرائيل منذ ان زرعت هذه الاخيرة قسرا فى قلب الوطن العربى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

وقد تركت هذه المعركة آثارا بعيدة المدى لا فى القوات المسلحة والقيادة العسكرية المصرية فحسب بل فى القيادة السياسية ايضا والشعب بأسره . بجميع طوائفه وامتد ذلك أيضا الى الشعب العربى كله .

ولم تكن هذه الآثار البعيدة فى جملتها الا جروحا عميقة أصابت نفس وشعور كل مواطن مصرى وعربى ودفعت بالانهيار المادى والنفسى فى كل مكان .

ولكن هل كانت هذه المعركة برغم قسوة كل أحزانها وآلامها شرا كلها !!

وهل اذا تم تقييمها بحساب المعارك ونتائجها ورغم كل الظلال السوداء التى تكتنفها لم تتسلل الينا منها اشعة ضوء القت لنا بالحقيقة والدرس المستفاد !!

رغم .. كل التوقعات

وتقودنا الاجابة على ذلك الى العودة الى شهر مايو ١٩٦٧ حينما تحركت قوات ووحدات ضخمة من قواتنا المسلحة الى سيناء فى شبه مظاهرة عسكرية مدوية على اثر تواتر معلومات عن حشود اسرائيلية على الحدود السورية .

ورغم توقع القيادة السياسية احتمال أخذ العدو بزمام المبادأة الهجومية وانتظار قيامه بالضربة الاولى فقد حدث هذا التوقع فعلا وتمرست قواتنا المسلحة لكارثة محققة صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ . بدأت بهجوم جوى اسرائيلى شامل على مطاراتنا ومطاراتنا الرابضة بها وانتهت بانسحاب القوات المصرية فى شبه فوضى عبر سيناء كلها الى القناة خلال بضعة أيام .

ولا شك ان ما حدث لم يكن طبيعيا فى تاريخ الحروب . ولا شك ايضا انه كانت هناك اخطاء كبرى ادت الى ذلك .

فبالرغم من قيام القيادة السياسية بتحذير القيادة العسكرية من التوقعات المستقبلة لنوايا اسرائيل وعملياتها . بل تحديدها تقريبا لتوقيتاتها المحتملة ، وبالرغم من تحريك القيادة العسكرية لحشود ضخمة الى سيناء فان الضربة الاسرائيلية كانت مفاجأة تامة حتى ان القيادة العسكرية فقدت توازنها واصدرت قرارها السريع بانسحاب القوات الضخمة دون أى انتظار لقتال حقيقى بينها وبين العدو . وبدون حتى أية ترتيبات أو توقيتات للانسحاب على وثبات الى مواقع متوسطة أو القيام بقتال تعطيلى وذلك على فرض استحالة الدفاع أو عدم نجاحه .

اى انه كان يتحتم أولا اجراء معركة دفاعية يتلوها انسحاب فى حالة زيادة ضغط العدو وذلك الى مواقع أفضل يمكن عندها ايقاف هجوم العدو وتثبيته ثم القيام بالهجوم المضاد وذلك كله طبقا لتقديرات وحسابات ونظريات معروفة فى فن القتال .

لو تم التلاحم

الا ان شيئا من ذلك كله لم يتم وأدى الانسحاب الى تمزيق وتشتيت القوات المسلحة رغم وجود عديد من الوحدات والتشكيلات جيدة التسليح والتدريب والاعداد وقادرة على مواجهة العدو بكل قوة ولكن لم يتهيأ لها اية فرصة للقتال .

ولو تم اى تلاحم قريب بينها وبين القوات الاسرائيلية لانعدم تأثير السلاح الجوى الاسرائيلى فى المعركة البرية وهو ما كان يخشى منه بعد تدمير سلاحنا الجوى بالمفاجأة التى حققتها الضربة الجوية الاولى التى سددها العدو ولتغير الموقف كليه الى صورة اخرى .

.... وبالاستعراض السريع للذلك الاخطاء على الجانب المصرى والتى ادت الى الكارثة فانه يمكن تلخيصها بصفة عامة فى الاتى :-

١ - قيام القيادة السياسية باخطار القيادة العسكرية بتوقعاتها بالنسبة لهجوم العدو المحتمل . ثم انتهاء دورها عند هذا الحد وكان الامر لا يعنيها ولا يتعلق بعصير البلد بصفة عامة وكان الواجب مشاركة القيادة السياسية للقيادة العسكرية فى جميع تقديرات الموقف قبل وخلال المعركة وتصور الخطوات الواجب اتخاذها بما فى ذلك افعال العدو وردود الفعل والا فعيم كان تحرك القوات الى سيناء ؟ !!!

دفاع مرن متحرك

٢ - قصور القيادة العسكرية وعجزها عن اتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة الموقف ، وحتى على فرض توقع قيام العدو بالضربة الاولى فكان الواجب يقتضى اتخاذ مواقع دفاعية قوية او القيام بأى نوع من انواع الدفاع المرن المتحرك يمكن به مواجهة ضربة العدو وايقاف هجومه ثم القيام بحركات الالتفاف والتطويق كما هو معروف فى تكتيكات الحرب الصحراوية .

٣ - حجز القيادة العسكرية من التفاصيل واصدار تعليمات منقة بالنسبة لتوقيتات وتواريخ الانسحاب وذلك مع فرض فشل الدفاع مما قلب الانسحاب الى اندحار كامل للقوات .

٤ - حجز القيادة السياسية من التدخل فى الموقف . وقد كان فى استطاعتها ان تأمر بايقاف الانسحاب والثبات فى المواقع للنهاية و (لآخر طلقة وآخر رجل) .

ولو تم ذلك لتغير الموقف كليه بالنسبة للعدو وللمعركة كلها حيث كانت تعليمات القيادة الاسرائيلية لقواتها البرية تقضى بالانسحاب والعودة ثانية الى داخل الحدود الاسرائيلية لتأمين اسرائيل نفسها وذلك اذا لم تتوصل الى نصر برى حاسم خلال ٤٨ ساعة .

٥ - عدم التعاون وفقدان الاتصال والتنسيق والترابط بين كل من القيادتين السياسية والعسكرية لتحقيق الهدف المشترك وهو ما امكن تلافيه بعد ذلك بنجاح بعد ست سنوات فى معركة العبور العظيم فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ اذ استطاع الرئيس السادات بنظرته الثاقبة للامور ووزنه السليم للمواقف ان يحقق قمة التعاون التام بين القيادتين بل أعطى كقيادة سياسية القيادة العسكرية أكثر مما كانت تنتظره فى ظروف عادية .

٦ - عدم وضوح الهدف وفقدان مبدأ المحافظة على الغرض فعلى فرض ان تحرك القوات المصرية الى سيناء كان لتحقيق هدف معين . فهو لا يخرج عن احد احتمالين .

أ - تحرك القوات الى سيناء كمظاهرة عسكرية وهى مغامرة غير معترف بها فى الفن العسكرى وحتى على فرض قبولها سياسيا فانها حتما لثمر ينبغى ان تخفى وراءها قوة حقيقية . ولم يكن حربا بها ان تكون القوات على هذا القدر من الضخامة التى تحركت بها الى سيناء .

ب - تحرك القوات الى سيناء بغرض القيام بعمليات عسكرية معروفة ومحددة كالدفاع أو الهجوم .

وكلتا العمليتين لم يعد لهما أى اعداد كاف ، فلا القوات اتخذت مواقع دفاعية قوية أو قامت بدفاع متحرك يمكن به صد العدو وتطويقه ، ولا هى قامت بالهجوم من قواعد هجومية وطيدة يمكن الارتكاز عليها فى حالة فشل الهجوم .

وقد .. كان

بينما نجد ان الغرض والمحافظة عليه كمبدأ من مبادىء الحرب الاساسية المعروفة كان متبعا تماما فى معركة أكتوبر ١٩٧٣ . فقد كان الهدف العسكرى هو العبور واحتلال مواقع تأمينية على الضفة الشرقية للقتال بعد تدمير مواقع خط بارليف وذلك لخدمة الهدف السياسى بكسر الجمود الذى احاط بالموقف السياسى وتحريك القضية كلها واجبار الرأى العام الدولى على التحرك .. وقد كان ... وظلت المحافظة على هذا الغرض واضحة فيما اتخذ بعد ذلك من خطوات عسكرية او سياسية .

واخيرا .. وبالرغم مما انتاب معركة يونيو ١٩٦٧ على الجانب المصرى من اخطاء فادحة فاننا ينبغى الا ننسى حقيقتين اساسيتين هما الاساس لتقييم هذه المعركة :

الحقيقة الاولى : هى ان هذه المعركة لم تكن محكا حقيقيا لاختبار كفاءة المقاتل المصرى واثبات جوهره العسكرى الاصيل وذلك عندما تتهيأ له القيادة السليمة وهذا ما كان واثبته الجندى المصرى عن جدارة فى مواجهة الجندى الاسرائيلى ، فيما بعد .

الحقيقة الثانية : ان جميع هذه الاخطاء لم تكن عبثا فقد خرجنا منها بدروس مستفادة جعلت هذه الحرب نقطة تحول حقيقية فى تفكيرنا السياسى والعسكرى ، قلبت موازين النصر الى جانبنا بعد ذلك فى معركة اكتوبر المجيدة .

وعبرنا الهزيمة حينما أعطت كل من القيادتين السياسية والعسكرية بفكر وحكمة الرئيس السادات وشجاعة القادة والرجال مثالا يحتذى فى مواجهتنا مع العدو التقليدى فى أية جولات قادمة .